جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

الثقافة العربية الاسلامية ودورها في توجيه الشباب

الدكتور : عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني

الرياض

1408 هـ - 1988 م

الثقافة العربية الاسلامية ودورها في توجيه الشباب

الدكتور عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني(*)

التمهيـــــد:

عندما تدخل هذه الحقبة من تاريخ البشرية في ذمة الرصد والتقويم كتاريخ يسجل رصيد الحضارة المادية التي نشهدها اليوم، فلعل أول ما يمكن أن يوصف به هذا العصر، انه عصر الخلط في المفاهيم، والتنكر للقيم، وفساد المعايير، ومن الأدلة الماثلة على الخلط في المفاهيم كلمة (ثقافة)[1] التي لم تكتسب بعد قوة الضبط والتحديد

(*) عضو الهيئة العلمية في المعهد العالي للعلوم الأمنية بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض.

١ ـ ومثلها في ذلك مثل كلمة (حرية) و (ديمقراطية) و (مساواة) و (حق) و (عدل) وغيرها كثير، ولقد ألف كاتب غربي هو صول بادوفر كتابه (معنى الديمقراطية) كله للبحث في مدلول كلمة (ديمقراطية) وانتهى الى أنها أبعد ما تكون عن التحديد التام ذي الضبط، والكتاب من ترجمة جورج عزيز. ونشر دار الكرنك بالقاهرة عام ١٩٦٧م.

اللازمين لتصبح به علما على مفهوم معين[1]

وفكرة (ثقافة) جاءتنا من الغرب، وهي حديثة نسبيا كظاهرة يراد لها أن تأخذ قالبا وثوبا معينا، في خضم اندفاع الغربيين وحضارتهم المادية للتنكر لكل القيم التي تنتمي لدين - أي دين - نتيجة ارتباطها بذكريات غير سعيدة مع الكنيسة ورجالها في عهود رسخ فيها العقل والقلب في القيود، وسيق فيها اعداد من المفكرين الى المحارق والمقاصل، مرورا بمحاكم التفتيش الرهيبة، واتهامات الهرطقة، فتمخض كل ذلك عن قطع شبه نهائي لكل علاقة أو صلة تربطهم بتلك الذكريات وما تمثله، ولو كان ذلك لمجرد الاشتراك في الاسم أو المفهوم.

فمهوم (ثقافة) - كما يقول الأستاذ مالك بن نبي[2] - ثمرة من ثمار عصر النهضة عندما شهدت أوربا في القرن السادس عشر وما بعده انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية في الفن والأدب والفكر

«فالأوروبي هو انسان الأرض» ومقاييسه تعد مقاييس مادية ترتبط بالزراعة والتجارة والربح أكثر من ارتباطها بأي مقياس روحي

---

١ - ولقد وضع كل من (كلايد كلكهوهن، ووليم كلي) بحثا تحت عنوان (مفهوم الثقافة(حشدا له كثيرا من المراجع والآراء لعلماء في مختلف تخصصات العلوم الانسانية في الغرب ولم ينتهوا الى ضبط محدد، (راجع كتاب الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث)، تحرير رالف لنتون «ترجمة: عبدالملك الناشف، ص: ١٤١ - ١٩٣).

٢ مشكلة الثقافة ص: ٢٥

أو عاطفي أو انساني متوازن، وعليه «فإن العمليات التي تستنتج الأرض خيراتها، كالحرث والبذر والحصاد، لها دور هام في نفسية الانسان الأوروبي، كما ان لها دورا هاما في صياغة رموز حضارته» فاذا حدث أن تعاظم انتاج الفكر في حياته، فليس من الغريب اذا اطلق الأوروبي عليه كلمة (Culture) التي تعني (الزراعة) اطلاقا مجازيا، فهذه الاستعارة قد شخصت واقعا اجتماعيا لم يكن مدركا، ولكن هذه الاستعارة قد أوجدت ـ مع ما أشرنا اليه من ملابسات ـ مفهوما جديدا، هو مفهوم (الثقافة) فأصبحت الكلمة منذ ذلك الحين فكرة تجريبية تدل على شيء قائم وجديد، ارتبط وجوده بوجود تلك التسمية (ثم نمت في اللغات الأوروبية منذ ذلك الحين)[1]

ولابد لنا بعد هذه التوطئة للمحور الفكري الذي انبثقت من خلاله فكرة الثقافة من أن نعرج على شيء من قواميسنا اللغوية، والمعاجم الفلسفية، ثم نردفها باستقراء سريع لآراء الكتاب والمفكرين الذين وقفوا وقفة طالت أو قصرت أمام مهمة التعريف الحرجة لفكرة «الثقافة».

ومهما يكن من أمر هؤلاء أو أولئك فيما انتهوا اليه من رأي في ضبط مدلولها، فان طبيعة مهمتنا في هذا البحث من جهة، والأهمية القصوى التي يقتضيها عنوان الموضوع من حيث ارتباطه بقضية رسالية تتعلق بتوجيه أهم فئة وأخطرها في الأمة من حيث حاجتها الى التوجيه في مجتمعنا العربي الاسلامي من جهة أخرى، ومن ناحية

---

١ ـ المرجع السابق ص: ٢٦

ثالثة ارتباط ذلك التوجيه ـ ومن قبله فحوى التوجيه ـ بواقع أمتنا التي تتحسس طريقها الى الغد متعثرة أمام ضغوط التحدي الهائلة[1] وهي تقف على مفترق الطرق ـ لتحدد اتجاهها وشخصيتها ودورها على مسرح الحياة ـ كل ذلك يجعل مهمتنا في ضبط المدلول ركنا أساسيا من أركان هذا البحث.

المبحـــث الأول
(التعريـــف)

الثقافة لغة:

من «الثقف» وهو الحذق في ادراك الشيء وفعله، ومنه استعير لفظ الثقافة والمثاقفة، وكل سوي مقوم أو حاذق ماهر في ادراك الشيء وفعله فهو (مثقف)[2] ويقال ثقفت كذا: اذا أدركته ببصرك لحذق في النظر

---

١ ـ والمائلة في صور شتى، ومن أخطرها الغزو الفكري، والضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية، وما يكتنف واقعها (واقع أمتنا) من فرقة وضعف، وفتن كقطع الليل المظلم، كما اخبر الصادق المصدوق (ﷺ) ومنه قوله عليه السلام (ستتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. الحديث).

٢ ـ الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص: ٧٦

ثم يتجوز به فيستعمل في ادراك الشيء والظفر به، وإن لم تكن معه ثقافة أو حذاقة ومهارة[1]

قال الله تعالى: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم .﴾[2] وقال عز وجل: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب .﴾.[3]

ومادة (ثقف ـ بضم القاف) قد استقر رأي المعاجم اللغوية عموما على أنها تعني: الحذق والمهارة والفطنة (وبكسر القاف) بمعنى ادراك الشيء والظفر به وبمعنى تسويته واعتداله، وبمعنى حدته وشدته ومنه قولهم: خل ثقيف، أي حامض جدا[4] ومن التسوية وتقويم الاعوجاج حديث عائشة تصف اباها رضي الله عنهما (وأقام أَوَدَه بثقافه) تريد أنه سوى عوج المسلمين، قال ابن الكسيت:(رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا لما يحويه قائما به) ومنه قولهم: «غلام لقين ثقيف: أي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه»[5]

وفي **المدلول الاصطلاحي**: تفاوتت آراء العلماء والمفكرين والفلاسفة في محاولتهم ضبط المدلول الاصطلاحي لكلمة (ثقافة)، كما يرجع هذا التفاوت أساسا الى اختلاف الزوايا التي سلطت من

---

١ الاصفهاني: ص: ٧٦

٢ ـ سورة البقرة: الآية ١٩١

٣ ـ سورة الأنفال: الآية ٥٧.

٤ ـ الرازي: مختار الصحاح، مادة (ثقف) ص: ٨٤ ٨٥ والزاوي في ترتيب القاموس المحيط. الجزء الأول ص: ٤١٢، وابن منظور: لسان العرب الجزء الأول ص: ٣٦٤

٥ ـ لسان العرب. الجزء الأول ص: ٣٦٤ ـ ٣٦٥

خلالها الرؤية عليها، كما يرجع من ناحية اخرى الى الظروف التاريخية التي لازمت اطلاق الاصطلاح واستعماله، والملابسات التي اكتنفت التوجه الفكري وتحولاته في المجتمع الغربي إبان بدء اطلاق هذا الاصطلاح.

وباستشارة المعاجم التي تستطرق عادة في ضبط مدلول الألفاظ لم يخرج علماء (الأنثروبولوجيا) فيما يبدو ولا غيرهم من علماء الغرب بأية اجابات شافية حول تعريف جامع مانع، ولا حول الأسئلة الكثيرة التي تجول في الأذهان عن الثقافة، وإن كان قد توصل بعضهم الى ان الثقافة (تحمل في طياتها فكرة التدخل الانساني، أي اضافة شيء الى حالة من حالات الطبيعة، أو ادخال تعديل عليها)[1]

ويذهب عالم النفس الى أن الثقافة: (مجموعة العادات الاجتماعية)[2] ثم ينقل عن آخر قوله في تعريفه للثقافة: (إنها تتألف من الطرق التقليدية المتبعة في حل المشكلات)[3].

ويرى «طبيب الأمراض العقلية» أنه قد يكون من المناسب أن نستعمل في تعريف الثقافة «الارث الاجتماعي» لنتجنب بعض الصعوبات المتعلقة بالضبط للمدلول[4].

---

١ - يراجع كتاب (الإنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث) ص: ١٤١
٢ المرجع السابق. ص: ١٤٥
٣ المرجع السابق. ص: ١٤٧
٤ المرجع السابق. ص: ١٥٠

ويقول عالم انثروبولوجي: الثقافة هي: (كل مركب يضم الأشغال اليدوية والمعتقدات والفنون، وجميع العادات الأخرى، التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في مجتمع، وكل ما ينتجه النشاط العادي من الأشياء التي تقررها هذه العادات)[1]

ومن تعريفات علماء الغرب للحضارة، والتي تعتبر لدى البعض من كتابنا تعريفا للثقافة، ماقاله العالم الغربي (تيلر) في تعريف الحضارة: (ذلك الكل المعقد، الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من القدرات)[2] وذلك ترجيحا منهم للمفهوم (الانجلوساكسوني) الذي يرى الربط والترادف بين مفهومي الثقافة والحضارة من جهة، وبين العلم والمدنية من جهة أخرى[3]

ويرى (رالف لنتون) أن ثقافة أي مجتمع من المجتمعات هي طريقة حياة أعضائه، وعليه فإن الثقافة هي: (مجموعة الأفكار والعادات التي يتعلمونها ويشتركون فيها وينقلونها من جيل لآخر)[4]

---

١ ـ المرجع السابق. ص: ١٤٩

٢ ـ الدكتور مصطفى الخشاب؛ علم الاجتماعي ومدارسه ص: ١٨٩ الدكتور عدنان زرزور: انسانية الثقافة الاسلامية ص: ٢٩ ٣٠، والأستاذ عمر عوده الخطيب: لمحات في الثقافة الاسلامية ص: ٣٢ وص: ٧ من الثقافة والتغير الاجتماعي لابراهيم أبوعشة

٣ ـ الدكتور عدنان زرزور انسانية الثقافة الاسلامية ص: ٣٢

٤ ـ راجع رالف لنتون في: الأوضاع العالمية الحالية من وجهة النظر الثقافية ص: ٣٤٨ ـ ٣٤٩ من الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث.

ويقف (جون ديوي) أمام مشكلة ضبط مدلول الثقافة لينتهي الى أن (من الصعب فهم حضارة معقدة التركيب، واستيعابها بمجملها، بل لابد من تفكيكها الى أجزائها، وتناولها جزءاً جزءآ في ترتيب وتدرج)[1] حتى يمكن الخروج بضبط موضوعي يحدد الرأي في مدلول الثقافة، وتأثير فلسفته (البراجماتية) واضح في هذا الرأي.

ويعرف (ردفيلد) الثقافة على أنها: «المجموعة المنظمة من المفاهيم المنسقة والتي تظهر في الفن والحرف، والتي يمكن عن طريق دوامها خلال التقاليد تميز الجماعة الانسانية»[2]

ويقول (هنري لاوست) إن الثقافة هي: (مجموعة الافكار والعادات الموروثة التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها).

ويعرِّف (آرنست باركر) الثقافة بأنها: (ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها، وانتقلت من جيل الى جيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة)[3]

---

١ راجع ابراهيم صقر أبو عشة الثقافة والتغير الاجتماعي. ص: ٥٣.

٢ - الدكتور محمد محجوب: الاتجاه السوسيوانثربولوجي في دراسة المجتمع ص: ٩٩ معزوا، الأستاذ ابراهيم صقر: المرجع السابق ص: ٧٧

٣ - الدكتورة نادية شريف العمري (معزوا الى كتاب الحضارة للدكتور حسين مؤنس ص: ٣٦٩) في كتابها: أضواء على الثقافة الاسلامية ص: ١٤

وهكذا نلاحظ التفاوت الكبير في آراء علماء الغرب ومفكريه عند محاولتهم وضع مدلول ضابط لكلمة الثقافة، أو قل فكرة الثقافة، ولا يختلف الأمر كثيراً لدى بعض علمائنا ومفكرينا المحدثين.

فالمعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية[1] يذهب الى أن الثقافة هي: «كل مافيه استنارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد، أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي، واضاف اليها ما اضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية».

ويذهب الدكتور جميل صليبا الى أن الثقافة: لفظ يطلق على مظاهر التقدم العقلي، وأن للثقافة معنى خاصا وآخر عاما.

فالثقافة بالمعنى الخاص هي: «تنمية بعض الملكات العقلية، أو تسوية بعض الوظائف البدنية، ومنها تثقيف العقل، وتثقيف البدن، ومنها الثقافة الرياضية والثقافة الأدبية أو الفلسفية».

والثقافة بالمعنى العام هي: «ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي، وحكم صحيح، أو هي التربية التي أدت الى اكسابه هذه الصفات».

---

١ ـ مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. القاهرة: ١٩٧٩م ص: ٥٨

ثم ينقل عن الدكتور (روستان) في تأييد رأيه قوله: «العلم شرط ضروري في الثقافة ولكنه ليس شرطا كافيا، انما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية التي اكسبنا اياها العلم حتى جعل احكامنا صادقة، وعواطفنا مهذبة»[1].

المبحـــث الثانـــي
(تحليل وتقويم)

من الواضح ابتداء ان فكرة (الثقافة) تقوم على معنى مركب، وتشتمل على عناصر تكوّن من حيث الترابط والانسجام فيما بين اجزائها المفهوم العام لفكرة الثقافة

فهي ومن خلال هذا المنظور العام: جو فكري يحكم فن الحياة في مجتمع ما، فيبلور مسار العمل، ويحدد أطر التنظيم، مفصحا عن طبيعة تفاعل الانسان على مستوى الفرد والجماعة ـ مع قوانين العلاقة بين الأفكار الموجِهة ـ كنسيج متآلف من الصور الذهنية المتولدة عن القيم والأعراف والمعتقدات، وبين الأشياء والموجودات المرتبطة بحياته

---

١ الدكتور جميل صليبا: المعجم الفلسفي. الجزء الأول. ص: ٣٧٨

إذن. هناك جملة من العناصر التي تشترك بمجموعها في بلورة فكرة الثقافة، وهذه العناصر هي:

أ ـ الانسان: وهو محل فكرة الثقافة ومرتكزها
ب ـ الأفكار: وهي بدورها تتولد من العقائد والأعراف.
جـ ـ الأشياء: أو الموجودات التي تحيط بالانسان، ويرتبط بها بحكم الوجود، وطبيعة التكوين.

فهذه العناصر الثلاثة ليست هي مفهوم الثقافة، ولكنها تشترك مجتمعة في بلورة مفهومها، وليس واحد من هذه العناصر أو أكثر ـ من باب أولى ـ يصح أن يمثل مفهوم الثقافة

(فالانسان) وهو العنصر الأول والأهم في هذا التركيب، هو محور العلاقة بين الأفكار والأشياء، باعتباره يمثل عنصر التفاعل والحركة في تحقيق نوع س قانون العلاقة بينه وبين الموجودات التي تحيط به، وذلك ضمن المنظور الغائي الذي بلورته الأفكار في صورة أهداف، والنشاط العضوي المنظم الذي اقتضاه تحقيق تلك الأهداف، أو فرضته المتطلبات الحيوية لجسم الانسان واستمرار حياته في صورة أساليب ووسائل سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

فهذا النشاط الانساني. الذي مثل عنصر التفاعل ـ في بلورته العلاقة بين الأفكار والأشياء في صورة قانون ـ ليس هو (الثقافة) بطبيعة الحال، والا كان علينا ان نطلق على كل نشاط انساني استلزمته حاجاته اليومية من اكل وشرب ولبس ونوم اسم (ثقافة)

فنقول ثقافة الأكل وثقافة الشرب، وثقافة النوم، وثقافة اللبس. وهكذا، أو ما استلزمه عمله اليومي في الوظيفة والمكتب والحقل والمصنع، فنقول ثقافة الوظيفة وثقافة الكتابة، وثقافة الادارة، وثقافة الحصاد وهكذا.

فالتدخل الانساني في أنشطة الحياة في كل صورة لا يمثل المدلول العام للثقافة كفكرة، كما لا يمثل الاطار العام للثقافة كمفهوم شامل.

وكذلك الشأن بالنسبة (للأفكار) وهي العنصر الثاني في تكوين المركب العام لمفهوم الثقافة، فالأفكار تستقى من مصادر كالأديان والعقائد والقيم والتقاليد السلوكية والأخلاقية، فهذه مصادر (للأفكار) والتي تكوّن العنصر الثاني في المعنى المركب لمفهوم الثقافة، وليست هي الثقافة.

أما العنصر الثالث في مركب فكرة الثقافة فهو (الموجودات أو الأشياء) فهذه إما أن تكون من موجودات الكون الطبيعية المحيطة بنا كالأرض والسماء والحجر والشجر أو تكون من الأشياء التي نتجت عن تدخل النشاط الانساني كالآلات والفنون والأجهزة، فهذه كذلك لا يصدق اطلاق لفظ الثقافة عليها، بل يمكن القول بأنها: آثار ثقافية حيثما بلورت مفهوما فكريا يحكم حياة الجماعة، أو استقر في وجدانها كقيمة.

وفي ضوء هذا التحليل المبدئي لفكرة الثقافة من حيث بنائها الموضوعي، والجو الفكري الذي لازم ظهور هذه الفكرة في المجتمع الغربي، يمكننا تقويم التعريفات السابقة على النحو الآتي:

الملحوظة الأولى:

تُبرز هذه التعريفات انعكاسات الجو الفكري الذي ساد المجتمعات إبان عصر النهضة في اوروبا، أي عصر اجتياح فكرة فصل الدين عن الدولة، والتنكر لأية صلة بالقيم الدينية، كما تبرز صلة هذه التعريفات ـ رغم اختلاف الزوايا التي نظر اصحابها من خلالها ـ بالرأي القائل: بأن فكرة الثقافة قد ازدهرت في الغرب ابان فترة الصراع مع الكنيسة كبديل عن الدين، وانه قد اريد لها ان تحل مكانه كبديل مادي يخضع لفكرة التطور والتغير المستمرين، وهي جزء أساسي من ناموس (العلمانية) الالحادية، والتي أحسن اليهود الحاقدون فيما بعد استغلالها في ثوب نظرية علمية على يد صنيعهم (دارون).

تماما. وبنفس الطريقة التي استغلوا بها أفكار رهط من فلاسفة المعرفة التجريبيين من أمثال (لوك وباركلي وهيوم)[1] في استعارة منهجهم لنشر الفكر الالحادي من خلال ما أسموه «بالعلوم

---

١ الموسوعة الفلسفية المختصرة. نقلها عن الانجليزية فؤاد كامل وآخرون ص: ٤٨٢.

الانسانية» كعلم النفس والاجتماع والانسان[1] ولا يختلف رأي الفكر الشيوعي في جوهره عن الغرب في هذا المجال، فهما وجهان لعملة واحدة.

وعن المعسكر الاشتراكي ينقل لنا الأستاذ مالك بن نبي رأي كل من (كونستانتيوف) ورأي (ماوتسي تونج) والذين يمثلان العقيدة الاشتراكية المادية بثوبيها السوفييتي والصيني عن أن تطور الثقافة ضرورة ملزمة وملحة[1]

يقول (كونستانتيوف) في كتابه «دور الأفكار التقدمية في تطوير المجتمع» إن حياة المجتمع المادية هي واقع موضوعي ومستقل عن ارادة الناس، أما حياة المجتمع العقلية الثقافية أي مجموعة الأفكار الاجتماعية والنظريات والأديان، ونظريات علم الجمال والمذاهب الفلسفية[2] فهي كلها انعكاس هذا الواقع الموضوعي.

---

١ ـ على يد عدد من اليهود وغيرهم مثل (فرويد، وداروين، ودوركايم، وسبنسر) بقصد القضاء على القيم الانسانية والأديان من خلال نفي عنصر الثبات للقيم وفرض نظرية التطور المطلق.

٢ الأستاذ مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ص: ٣٢ وما بعدها، وسيظهر لنا فيما بعد أثر هذه الفلسفة في المشكلة الثقافية المستعصية في مجتمعات الحضارة المادية، في كل من المجتمع الغربي، والمجتمع الشيوعي على حد سواء، ومدى قيمة خاصية الثبات في الثقافة الاسلامية.

٣ ـ أي كل ما يعتبر مصدرا للثقافة.

ويقول (ماوتسي تونغ) في كتابه «الديمقراطية الجديدة»:

«إن كل ثقافة معينة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين، ثم يسجل ملامح ثورته الثقافية منذ ستينات هذا القرن الميلادي، «فيعتبر أن القلم سلاح في المشكلة اذا ماقتضى الأمر وضع أساس ثقافة جديدة، ولكن قد يكون الفأس سلاحا عندما نحتاج الى تسوية اطلال ما يطلق عليه احيانا ثقافة الاقطاع أو الاستعمار».

ولذلك. يقول في هذا الصدد: «فينبغي القضاء عليها، وان لم يقض عليها فسيكون من المستحيل اقامة أي أساس لثقافة جديدة».

وهكذا. نستطيع أن نرد ـ وبقدر وافر من الثقة ـ مجموع ما قيل في تحديد مفهوم الثقافة من تفسيرات الى مدرستين:[1].

المدرسة الغربية:

وهذه المدرسة كانت ومازالت وفيّة لتقاليد عصر النهضة واتجاهاته المادية والتي ترى: أن الثقافة ثمرة من ثمار جهد الانسان وفكره.

---

١ ـ من واقع التماثل في الاتجاه بين كل من الفكر الغربي والفكر الشيوعي والذي سبق إن لاحظه المفكر الاسلامي مالك بن نبي في كل من (شروط النهضة) و (مشكلة الثقافة).

المدرسة الشيوعية:

وهي تذهب الى اعتبار الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع، فالفكر والمجتمع اليوم يمثلان الاطارين المألوفين اللذين توضع فيهما المشكلات الاجتماعية وتفسر على ضوئهما جميع الظواهر، مع قطع الصلة نهائيا بكل حقيقة تتصل بدين أو غيب، وهو طابع عام يسود فكر واتجاه كل من رضع من لبان هذه المدرسة أو تلك، في صورة أو بأخرى من (عمالة الفكر) فهم ينتمون جميعا الى النظرة النفعية المباشرة.

فالذين قدموا الجانب الفردي مثل (رالف لنتون) واعتبروا الثقافة قضية الانسان، أو قدموا الجانب الاجتماعي ذاهبين الى اعتبار الثقافة قضية المجتمع، إنما ينتمون الى فلسفة واحدة مع اختلاف واحد يتعلق فقط بتفسير العلاقة المتبادلة، ومع ذلك فان طريقة التعريف في كل من الحالين واحدة، وهي تصدر عن فكر مادي الحادي بأخذ (الطابع الاحصائي) سواء انطلق من اعتبارات تتعلق بعنصر (الأفكار) فقط، أو إنطلق من اعتبارات تتعلق بعنصر (الأشياء) مقترنا بجو من الأفكار.

الملحوظة الثانية:

وهي تتعلق بالعنصر البنائي لهيكل التعريف، من حيث المدلول الاصطلاحي، فجملة التعريفات التي أوردناها في بداية هذا المبحث قد قصرت ـ وبسبب الخلط الفكري في المفاهيم والناجم عن

فساد المعايير بل رفض فكرتها على الاطلاق ـ عن ضبط مفهوم محدد لفكرة الثقافة، فبعضها قصر مفهوم الثقافة على مصادرها، وعمد البعض الآخر الى اعتبار الثقافة حصيلة نتاج (الأشياء) التي أثمرها النشاط البشري من الفنون والآثار ونموها، وعمد البعض الثالث الى اعتبار الثقافة: الكل المعقد من الأفكار والأشياء والتقاليد والعادات والأعراف، وذهب رهط رابع الى تحديد مدلول الثقافة بعملية انتقال الميراث الحضاري من جيل الى آخر وهكذا.

ومن المعلوم أن التعريف هو: عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر هو حقيقة الشيء المعرف[1] بحيث تتضح الحقيقة التي وضع اللفظ ازاءها للدلالة عليها حتى يكون التعريف حقيقيا، ويفصح عن مدلول حقيقي، بحيث يلزم العلم بحقيقة المعرف العلم بحقيقة المدلول.[2]

وبناء على ذلك. وعلى ما أسلفناه في بداية هذا التحليل من تقسيم فكرة الثقافة الى عناصرها المكونة لتركيبها، فإننا نلاحظ أن هذه التعريفات لم تصادف الصواب في ضبط تعريف محدد لفكرة الثقافة، ولا حتى في بيان حقيقة مفهومها المتعلق بطبيعة الماهية

---

١ ـ يراجع في ذلك كتاب «التعريفات» للامام الجرجاني ص: ٣٣، الدار التونسية للنشر

٢ المرجع السابق. ص: ١١٠

من حيث تحديد صلتها بالانسان باعتباره المحور الأساسي الذي تتصل باستجاباته وتفاعله وردود فعله حقيقة فكرة الثقافة بشكل مباشر[1] على مستوى الفرد والمجتمع، ويتضح ذلك القصور في ضبط المفهوم جليا عند تحليلنا لحقيقة الأزمة الثقافية التي يشكو منها عالمهم بمعسكريه الشرقي والغربي على حد سواء تماما كما يعانيه عالمنا العربي الاسلامي[2]، وهذه الأزمة تتعلق بشكل أساسي بالانسان ـ وان كان لظروف مختلفة بالنسبة لعالمنا وعالمهم ـ إنها تتعلق دون ريب بالتراجع الخطير في مستوى تفاعل الانسان مع (الجو) الثقافي الذي يسود مجتمعه والتردي الخطير في مدى استجابته لتوجيهات النظم والقيم التي تحكم مجتمعه، وهو يرجع بشكل أساسي كذلك الى هبوط في مستوى قناعته بحصيلة التوجهات القيمية واهدافها الغائية، والتي يراها غير مؤهلة لأن ترقى به أو يرقى بها الى مستوى الانتماء الكلي، بكل ما يعنيه من تفاعل سوى بالنفس والروح والوجدان، اقتناعا والتزاما، بحيث ترتب على ذلك ظهور بثور واضحة تحولت مع الأيام الى قروح بل شروخ واخاديد في البنيان الحضاري للعالم المادي الذي

---

١ ـ باستثناء تعريف واحد أشار الى جزء أساسي من مفهوم الثقافة، وهو تعريف (ردفيلد) الذي قال أن الثقافة هي: (عبارة عن مجموعة المفاهيم) راجع التعريفات.

٢ ـ مع فارق كبير في الأسباب وحقيقة البواعث وامكانات تحقيق مخرج من الأزمة بالنسبة لأمة تملك منهجا معصوما يحقق باليقين القاطع في نفس معتنقيه الخروج من الأزمة اذا طبق، وأمم أخرى تملك كل شيء عدا المنهج المعصوم.

يعيش أزمته الثقافية طولا وعرضا، وتظهر آثاره على مستوى الفرد والجماعة من خلال زوال الالتزام بين الفرد والمجتمع في ثورة عصيان فكري تمثله كتابات مثل (كولن ولسون)[1] في كتبه المتعددة بدءاً بكتابه (اللامنتمي) (وما بعد اللامنتمي) ومروراً بكتابه (سقوط الحضارة) و (رواية الشك) وانتهاء بمظهر التحلل الكلي في كتابه (ضياع في سوهو)، وكولن ولسون استطاع أن يتحسس (كانسان) قبل كل شيء مدى فداحة الخطر، وعظم مستوى الأزمة الثقافية التي يمر بها مجتمعه الانجليزي، والتي تؤذن بأفول حضارتهم (حضارة الشطر) الحضارة المادية، وقد بلغ عظم هذا الاحساس الى الدرجة التي حولته ـ بمجرد الملاحظة الفكرية كانسان ـ من عامل تلفونات الى فيلسوف، ألا يقولون: إن الحاجة أم الاختراع

أما آثار هذه الأزمة على المستوى الاجتماعي فيكفي أن نشير الى مثال واحد من عالم (الأرقام والاحصاءات) التي تتحدث عن مستوى الجريمة، أو ازدياد نسبها وخصوصا في المجتمعات المتحضرة والغنية، والمتمتعة بأعلى نسب في الدخل، وفي مستوى الحرية الشخصية حيث تبلغ فيها نسبة السرقة ما معدله (عشر جرائم سرقة في كل دقيقة، وجريمة قتل واحدة كل دقيقتين، وثلاث جرائم اغتصاب كل ساعة)، بحيث تصل حصيلة معدل تناقص

---

١ ـ ومثل كونستانتان جورجيو في كتابه (الساعة الخامسة والعشرون) ورنولد توينبي والكسيس كاريل، وكريس موريسون وغيرهم.

الانسان والمجتمع مع ثقافته، وتوجهات الفكر والفلسفة القانونية، والاجتماعية التي تحكم مجتمعه الى (جريمة واحدة ـ أو قل: إن شئت ـ تناقضا واحدا في سلم الالتزام كل ثلاث ثوان وعلى مدار الساعة)، وذلك هو الوضع في أمريكا زعيمة العالم الغربي[1] ولا يختلف الوضع كثيرا في المعسكر الآخر في روسيا بطبيعة الحال ـ ان لم يكن أسوأ ـ الا بقدر معدل الكذب والنفاق الذي تمارسه السلطة هناك باخفاء الحقائق.

وعود على بدء الى ضبط أوجه القصور في تلك التعريفات فالتعريفات التي حصرت مدلول الثقافة بعنصر (الأفكار) أو مصادرها مغلوطة، فلو كان ذلك صحيحا، لكانت الأزمة الثقافية اليوم ازمة تعليم وهيئات تشريع، وتلك التي حصرت مدلولها في الأشياء من نتاج النشاط الانساني الغني والصناعي مغلوطة كذلك، فلو كان هذا صحيحا، لكانت الأزمة الثقافية غير قائمة على الاطلاق، اذ لم يبلغ التقدم المادي في حضارة الانسان ـ ومنذ ان كان التاريخ تاريخا والى اليوم ـ ذلك المدى الذي بلغته الحضارة المادية في النصف الثاني من هذا القرن، فنا وصناعة وابداعا.

ولكن الأزمة هي أزمة الانسان، من حيث ولائه وانتمائه والتزامه، واستجابته وتفاعله مع قانون العلاقة بين الأفكار والأشياء

---

١ تراجع في ذلك الاحصائية الصادرة عن مكتب المدعي العام الفدرالي الأمريكي لعام ١٩٧٥م وعام ١٩٨١م.

التي تنظمها القوانين والقيم والتقاليد والأعراف في المجتمع (ذلك التفاعل السوي من الانسان مع قانون العلاقة الذي يربط بين الأفكار والأشياء وأفراد المجتمع برباط التفاعل القائم على الاقتناع المؤدي للالتزام والاستجابة الواضحين في سلوك الفرد وحياة المجتمع).

إذن ما هي الثقافة؟

وهنا نصل الى وضع تعريف محدد يضبط المدلول الاصطلاحي لكلمة (ثقافة) على ضوء التحليل والتقويم اللذين مهدنا بهما لهذا الضبط، بل نصل الى وضع تعريفين أحدهما للثقافة بمدلولها الذاتي، والآخر للثقافة بمدلولها الموضوعي

فالثقافة من حيث مدلولها الذاتي: هي المفاهيم المستقرة القائمة على التفاعل السوي لقانون العلاقة بين الأفكار والأشياء في سلوك الفرد وحياة الجماعة.

حيث أن الجو الناشئ عن التفاعل السوي للانسان - ولا يكون التفاعل سويا الا باستجابة والتزام قائمين عن قناعة ارادية - مع قانون العلاقة القيمي الذي يربط نظام العلاقة بالأشياء والموجودات برباط من القيم المحققة لأهداف الانسان وغاياته، على وجه يتناسب مع فطرته وتكوينه وحاجاته الكاملة باعتباره جسدا وروحا.

فإن هذا التفاعل السوي اذا ساد المجتمع كوّن بالضرورة جوا من الانسجام والألفة والترابط، وتمخض عن شيوع نوع متميز من

(المفاهيم) الخاصة بذلك الجو الموازن بين القيم الحاكمة والاستجابة والالتزام من الفئة المحكومة بها، هذا الجو يمثل جواً ثقافياً لهذا المجتمع، وتلك المفاهيم التي تستقر على تلك الأسس تمثل (ثقافة هذا المجتمع) وانتقال تلك المفاهيم من جيل الى جيل من بعد، هو في حقيقته: استمرار لصورة التفاعل الايجابي مع القيم بين الأجيال (والميراث الثقافي) وبتوقف سلامة واستمرار هيمنة المفاهيم الايجابية التي تمثل ثقافة المجتمع على شروط معينة، لتتمخض تلك الثقافة في النهاية عن ميلاد حضارة عظيمة

أما **الثقافة من حيث المدلول الموضوعي**: فهي صبغة حياة تتشكل من تمثل قناعات قيمية ترتكز على منهجية مستقرة في السلوك والعمل والابداع على مستوى الفرد والجماعة

فهذه الصبغة الحياتية تنشأ عن القناعات القيمية في حالة التطبيق للمفاهيم، بحيث تستقر في ضمير الفرد والجماعة، وفي واقعهم، وسلوكهم، وعملهم، وابداعهم مُشكلة في النهاية منهج حياة مستقر، يفصح مع المدى عن حضارة، وتصاب تلك الحضارة بالخلل، أو تؤذن بالأفول عند استفحال الأزمة في شكل خلل يبدل صبغة الحياة، بحيث تنحسر مع الأيام تلك المفاهيم عن الواقع نتيجة انحراف خطير في سلوك المجتمع عن منهجية الحياة[1]

---

١ ولنا عود باذن الله الى هذه النقطة عند الحديث عن أسباب الأزمة.

فبعد وقد انتهينا الى تحديد مدلول الثقافة من خلال رؤية تحليلية للوضع، فإننا نستطيع أن نؤكد ـ وبقدر وافر من الثقة ـ توافق هذا الفهم وأصل الاشتقاق اللغوي لمادة (ثقف) في اللغة العربية (فالثقف) هو: الحذق في ادراك الشيء وفعله[1] وواضح أن تشكل مفهوم قيمي من حيث هو يحتاج الى قدر وافر من الحذق والمهارة سواء في الفرد أو في الجماعة بشكل عام، وإن تمثل الانسان لهذا المفهوم سلوكا وابداعا بحيث تتشكل صبغة حياته على ضوئه، ثم استمراره التزاما على ذلك يحتاج الى نوع س التنظيم يحقق قدرا كافيا مس الرقابة الذاتية والتضامنية في المجتمع، هو ضمان لاستقرار تلك المفاهيم وتمثلها، لضمان سلامة التوجيه، وهذا المعنى من التسوية والتقويم للأجيال ـ من خلال التوجيه غير المباشر الذي يفيدونه من الجو الثقافي العام ـ قائم كذلك في معاني مادة (ثقف) في اللغة، في قولهم التثقيف: بمعنى التسوية والتقويم للرمح حتى يعتدل[2] وهذا المعنى وان استعمل في مجال الأشياء فان امكانية ترتب دلالته على الأشخاص هو استثمار سوي لمعاني الألفاظ واشتقاقاتها في اللغة من باب الاستعارة المجازية.

مما يؤكد توافق انسجام المعنى الاصطلاحي مع اصل الاشتقاق اللغوي في الاستعمال، وهو شرط له أهميته البالغة في أمة تحرص على حفظ مقاييسها الثقافية في استعمال اللغة

---

١ ـ معجم مفردات الفاظ القرآن. ص: ٧٦

٢ راجع لسان العرب. ومختار الصحاح. والقاموس المحيط. مادة (ثقف).

المبحث الثالث

(الثقافة العربية الاسلامية)

الاسلام هو دين الله تعالى الذي اصطفاه للناس جميعا عقيدة وشريعة ونظام حياة كامل، من لدن آدم عليه السلام، وحتى قيام الساعة فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إن الدين عند الله الاسلام .﴾[1] واسم (الاسلام) صنو لطبيعة منهجه، حيث أن مقتضاه تسليم الانسان قياد نفسه لمراد الله تعالى فيه اقرارا وتصديقا وعملا، مجندا له من نفسه اللسان والجنان والجوارح، في صبغة حياة قيمية مثلى، ترتسم على ضوئها منهجية مستقرة في السلوك والعمل والابداع.

ومن مقتضياته اللصيقة بطبيعة منهجه ومسماه[2] والدالين على تكريم الانسان به عدم قيامه على الاكراه والتعنيت، بل على الاختيار والرضا[3] في حين صير الحق سبحانه أمره وحكمه ونظامه في سائر مخلوقاته عدا الانسان تسخيرا لا اختيارا

---

١ سورة آل عمران. الآية ١٩

٢ ـ فسماه الاسلام دلالة على فسحة الاختيار في امتثال أمر الله تعالى بالدخول فيه، ولم يسمه المُسلَّم «بتشديد اللام».

٣ ـ لقد اتفق علماء السنة على أن إيمان المكره لغو غير مقبول، مستدلين بقول الحق سبحانه ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

ولقد تدارك الله سبحانه وتعالى به ـ بمحض فضله ونعمته ـ سائر أمم الناس من خلقه قال تعالى: ﴿وإن س أمة الا خلا فيها نذير﴾ بدءاً بآدم عليه السلام وختما بالرسول الخاتم عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث أكمل سبحانه به الدين، كما أثبت به لقومه (العرب) الفضل، حيث انتدبهم لحمل أمانة الخير للناس كافة، وكان النبي ممن سبقه يبعث في قومه خاصة، فأصبحوا والاسلام صنوان في شجرة خير واحدة، وأقاموا بالاسلام حضارة مثلى، هو روحها وهم الرداء والجسد.

العرب مادة الاسلام:

الأمة العربية أمة عريقة، تمتد جذورها بعيدة في أغوار التاريخ[1] أمة ذات قوة ومنعة واقتدار، أمة صلب عودها، ندي ذوقها، عظيم عطاؤها، لا يجمعها لفرط انفتها، وأصالة محتدها، الا حق بازغ كفلق الصبح، وقيادة فذة تجمع الصفوف وتذكي الهمم.

---

١ ـ فقد نقل الامام الماوردي عن كعب الاحبار أن أول من كتب بالعربية آدم عليه السلام، ثم وجدها بعد الطوفان اسماعيل عليه السلام، وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اول من كتب بها اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، راجع أدب الدنيا والدين. الطبعة الرابعة ص: ٦٨

فهي أمة الايثار لا الأثرة، ومن سمة المؤثر العطاء والسخاء والشجاعة والمروءة وحفظ الجوار واجارة الضعيف، وتلك جميعا من صفاتها،[1] أمة لم تكن قط من الشعوب (العَمَلة) عبيد الفأس والمعول، ولا من (الصَنَعَة) عبيد المطرقة وسواس البقر، فهي أمة سيادة وريادة، ولا غرو فقد اختار الله منها نبيه الخاتم (ﷺ) وحملها أمانة الدعوة والتبليغ فانطلقت بأمانة السماء وأصالة الانتماء لتقيم دعائم أعظم حضارة شهدها التاريخ البشري في نحو من ربع قرن، ولا غرو فهم من نصر الله تعالى بهم نبيه بالرعب مسيرة شهر

تلك الذكريات تجعل اعداءها يقظين اليوم ـ رغم ضعفها وانحسار مدها الحضاري ـ خشية أن تستجمع في سوحها عنصر انبعاثها ـ عقيدة جامعة وقيادة موحدة ـ لعلمها أن في رصيد ثقافتها (كنز الاسلام) الذي يوفر لها كلا العنصرين، بحيث لا تحتاج معه الا لسويعات من عمر الشعوب والزمن تكفل لهذا الخير أن يعم بها سرة بعد أخرى[2]

---

١ ـ ورد عن رسول الله «ﷺ» ـ خير ولد آدم ـ قوله: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام، انظر صحيح مسلم. الجزء الثامن. ص: ٤١ والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة للسخاوي ص: ٤٤١. وتمييز الطيب من الخبيث لابن الربيع، ص: ١٧٧

٢ ـ فهي كما قال مفكر هندي كبير كل أمة تحتاج في انبعاثها لمائة سنة تبحث وتفكر ومائة ثانية لتختار طريقها وتقرر، ومائة ثالثة لتعد نفسها وتنطلق الا الأمة الاسلامية ففي قرآنها رصيد دائم قابل لبعثها مباشرة.

نزل الاسلام على هذه الأمة وهي تعيش مفاهيم جاهلية، تجمعت على تطاول عهدها بالرسالة من أديان جيرانها، اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوسية بالاضافة الى عقائد الشرك وعبادة الأصنام[1] والتي أحصاها القرآن في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد﴾[2]

ولكن ما أن بزغ في ساحها فجر الاسلام حتى سارعت الى الدخول في دين الله زرافات ووحدانا، في فترة شهد العالم فيها ميلاد أمة رسالية عرفها التاريخ، وهي ذكرى نحتت في قلوب المؤمنين بها ـ قبل طروس التاريخ ـ أحرفا من النور، مما لا مجال معه لأي جاهل أن يماثل بالتشبيه بين تاريخ هذه الأمة الاسلامية عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة، وتاريخ وشعوب أوروبا مع كنائسها وسدنتها الجهلة، وملوكها الظلمة، وشعوبها المقهورة المهانة، ورسالاتها المحرفة لينعق زاعما بأن ثقافة الحضارة المادية والتقدم العلمي قد هزما الأديان وإن

---

١ ـ وعزى الى ابن حزم في (جمهرة الانساب) (ان عمرو بن لحي الخزاعي كان أول من أحدث تغييرا في دين ابراهيم، ودعا الى عبادة الأوثان). الدكتور فخري رشيد خضر، تطور الفكر التربوي الطبعة الأولى ص: ١٠٥

٢ ـ سورة الحج. الآية: ١٧

النظريات العلمية[1]، قد طردت من سوح الشعوب الخرافات، فنجحت أوروبا عندما فصلت الدين عن الدولة، ونفته من حياتها والى الأبد، وإن علينا أن نقتدي بهم في ذلك لنلحق بركب تقدمهم.

ونحن نقول لهؤلاء أن صدر كلامكم ـ الجزء الأول منه ـ صحيح، وذلك فيما يتعلق بالثقافات التي تستند في مصادرها على خرافات وأديان محرفة وليس لها من مقومات حياتها او مبررات استمرارها الا رصيد قداسة هش في نفوس العامة والجهلة، أو انفرادها بسبب قصور في دعاة الاسلام، في سوحهم، ولا حظ لها من الحقيقة او الأساس العلمي في تبرير منطلقاتها ومبادئها ـ إن كان لها مبادىء ـ وطقوسها وتقاليدها الا سذاجة هؤلاء العامة، وبعض التماثيل والآثار الحجرية، وصور الأوثان، ولكن بقية كلامكم

---

١ تلك دعوة يحمل لواءها اليوم رهط من شباب هذه الأمة بعد أن جمعوا الى الجهل بالاسلام عمالة التغريب فآخر ما سمع من أحد فرسان الجهل المركب منذ مدة ليست بالبعيدة قوله وبالحرف الواحد: «لا تذكروا لنا الاسلام، فليس في الاسلام نظرية علمية واحدة، فكلما كشف علماء الغرب نظرية علمية قلتم هذه اسلامية، وكأن أحدا منهم قد سمع باسلامكم المزعوم أو يهتم به». ـ وسمع منافق آخر من فصيلته يقول ـ وبعد أن حضر مؤتمراً اسلاميا ممثلا لدولته والقى فيه بعض اللغط المركب وغير المتجانس من الأفكار والألفاظ باسم بحث علمي، قال وبالحرف الواحد كذلك مستاء من احد الحضور الذي كشف زيف ما يقول (اسلام. اسلام. اسلام. اتركونا من الاسلام والكلام الفاضي ـ حسب قوله ـ قولوا حرية. قولوا ديمقراطية قولوا اشتراكية)!!

مغالطة، ففيه قياس مع الفارق، وهو منقوض بسقوط الجامع بين الفرع المقيس والأصل المقاس عليه، فلا يصح.

وفي الصفحات التالية سنتعرض - باذن الله تعالى - لبيان مدلول الثقافة الاسلامية في مؤلفات علمائنا وفقهائنا سلفا وخلفا، وما اذا كانت المفاهيم الاسلامية التي تشكل صبغة حياة المجتمع المسلم قد ذكرت في تلك المؤلفات توطئة للوصول الى مقومات هذه الثقافة، وخصائصها لنبرز وجه المغالطة فيما زعموه عن الاسلام.

مدلول الثقافة الاسلامية في المؤلفات الاسلامية:

قلنا: إن الثقافة هي جملة المفاهيم المستقرة القائمة على التفاعل السوي مع القيم الحاكمة لقانون العلاقة بين الأشخاص والأعيان في سلوك الفرد وحياة المجتمع من حيث أن هذه المفاهيم تمثل ضوابط قيمية لممارسة مهام الحياة، وأوجه الكسب، والاشباع للمتطلبات، على مقتضى مقاييس شرعية يتفاعل النشاط الاجتماعي والفردي في ضوئها حتى يصبح صبغة مستقرة الأعمال والسلوك والتوجهات وأسلوب التفاعل وكمه وكيفه، ومداه.

وهذا المفهوم للثقافة هو الذي استقر عليه الرأي لدى المحققين من علماء السلف الصالح في أمتنا من الفقهاء والمحدثين والمفسرين

والأصوليين وغيرهم، وان لم يكونوا قد استعملوا ذات اللفظ (أي الثقافة)[1]

---

١ ـ خلافا لما درج عليه البعض من العلماء الأفاضل كتاب الاسلاميات المحدثون والذين جنح بعضهم لاستعمال كلمة (ثقافة) فقال بعضهم بمعنى العلم والبعض الآخر بمعنى (الرقي) وذهب آخرون الى ترجيح بعض تعريفات علماء الغرب، واكتفى البعض بايراد تعريفات مختلفة دون اللجوء الى ترجيح أي منها، وغلب آخرون المفهوم السائد لها في المؤلفات العربية والأجنبية حيث اصبحت تفيد ما يكتبه الانسان من ضروب المعرفة النظرية والعملية، ومنهم من عرفها بأنها: «مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته .» راجع مشكلة الثقافة للمفكر الاسلامي الكبير مالك بن نبي ص: ٧١

الدكتور عبدالكريم زيدان: معالم الثقافة الاسلامية ص: ٧ ـ ٨ وقد استعملها بمعنى فلسفة الاسلام وروح حضارته، والشيخ محمد المبارك بين الثقافتين الغربية والاسلامية ص: ٥٥ والاستاذ عمر عوده الخطيب. لمحات في الثقافة الاسلامية ص: ٤٢ ٤٩ والدكتورة نادية العمري أضواء على الثقافة الاسلامية ص: ١٥

والأستاذ أنور الجندي: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي ص: ١٧ ـ ١٨ والذي ذهب الى أن الثقافة معرفة وموقف واتجاه وعواطف وعادات. الخ.

والدكتور محمد جابر الأنصاري. تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، حيث يسلم عموما بوجوب الدمج بين الثقافتين الغربية الحديثة والعربية ـ أسس النظرية التوفيقية على حد زعمه ـ ويصف ذلك بالأهمية البالغة ويبرز ذلك بأنه يؤدي الى تفسير التاريخ وفهم المجتمع العربي =

ومن الألفاظ التي استعملت للدلالة على تلك المفاهيم القيمية العملية في التوجيه السلوكي لتحقيق التفاعل مع القيم «الأدب، وفقه العلم، وآداب المواضعة، وأدب الدنيا والدين، وأدب النفس، والعقل المسموع، والعقل المكتسب»[1]

ومن أمثلة ماورد في ذلك ويوضح أن المفاهيم هي: معاني الأفكار لا معاني الألفاظ، اذ أن معاني الألفاظ تدخل في مطلق لفظ العلم.

قول ابن عبد ربه في العقد الفريد يصف العلم والأدب «. فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا، وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية، وهما مادة العقل وسراج البدن، ونور القلب وعماد الروح. وقد جعل

= الحديث، وادراك طبيعة النتاج الثقافي الفكري والأدبي للعقل العربي الجديد.

والاستاذ أمين مدني: الثقافة الاسلامية وحواضرها ص: ١٢ وما بعدها.

والأستاذ سميح عاطف الزين. الثقافة والثقافة الاسلامية ص: ٣١ وذهب الى ان الثقافة: هي المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار كالتاريخ واللغة والأدب.

١ يراجع في ذلك كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي. وأدب الدنيا والدين للماوردي والأدب المفرد للإمام البخاري، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني. ومختصر المقاصد الحسنة للزرقاني، وإحياء علوم الدين للغزالي. والمقدمة لابن خلدون.

الله بلطيف قدرته وعظيم سلطانه بعض الأشياء عمدا لبعض ومتولدا من بعض فاجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر، وخواطر الذكر تنبه روية الفكر، وروية الفكر تثير مكامن الارادة والارادة تحكم أسباب العمل»[1].

وقال الحافظ بن حجر عند بيانه لمفهوم (الأدب) الوارد في تسمية الامام البخاري لكتابه (الأدب المفرد)[2]: «والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل الوقوف على المستحسنات .»

ومن أدلة استقرار هذا المفهوم اتفاق العلماء على تسمية الأحكام الشرعية العملية في الفروع فقها، وتسمية المتقنين لهذا العلم (فقهاء) واتفاق المحققين من أهل الأصول، أعني علماء أصول الفقه، على أن القياس والاستدلال الشرعيين طريق لاثبات الأحكام في العقليات ـ أي المفاهيم[3] ـ ويؤكد هذا المعنى شيخ الاسلام ابن تيمية

---

١ العقد الفريد. الجزء الثاني. ص: ٢٠٦

٢ ـ وقد أفرد الامام البخاري ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب الأحاديث الواردة في ضبط المفاهيم القيمية التي تنظم حياة الفرد والجماعة وتحدد ثقافتها الاسلامية، وتبين المنهج السلوكي العلمي للشخصية الاسلامية، فما صح عن رسول الله (ﷺ) من سنته المباركة. راجع كتاب الأدب المفرد للامام البخاري. دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت. ١٩٨٠م.

٣ ـ ابن السبكي. الابهاج بشرح المنهاج الجزء الثالث. ص: ٢٣ والشيرازي. التبصرة في أصول الفقه ص: ٤١٦.

حين يقول: (وحقيقة الأمر أنه لم يشرع شيء على خلاف القياس الصحيح) ويضيف في موضوع آخر (والى ساعتي هذه ما علمت قولا قاله الصحابة ولم يختلفوا فيه الا وكان القياس معه، لكن العلم بصحيح القياس وفاسده من أجل العلوم، وانما يعرف ذلك من كان خبيرا بأسرار الشرع ومقاصده)[1] ويؤكد ذلك ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول: (والقياس الصحيح دائر مع أوامرها ـ أي الشريعة ـ وجودا وعدما، كما أن المعقول الصريح دائر مع إخبارها وجودا وعدما)[2].

وهكذا. يتضح بأن ما جرى العرف عليه حديثا من مسمى الثقافة الاسلامية، إن هي: الا المفاهيم الشرعية التي تدل على معاني الأفكار المستقاة من مصادرها المعتبرة شرعا ضمن دائرة النص في الكتاب والسنة، ودائرة الاجتهاد في الاجماع والقياس، وتلك المصادر المتفق عليها عند علماء الشريعة المحققين[3]

---

١ ـ رسالة القياس لشيخ الاسلام ابن تيمية ص: ٤٦ و ٦٤

٢ ـ فصول في القياس لابن القيم ص: ٨١ وهذه الفصول مطبوعة في كتاب واحد مع رسالة القياس لابن تيمية باسم «القياس في الشرع الاسلامي». بيروت.

٣ ـ وهناك ضمن دائرة الاجتهاد مصادر أخرى معتبرة لدى علماء الشريعة يقول الامام القرافي في شرح تنقيح الفصول ـ وهي على قسمين ـ: أدلة مشروعيتها وأدلة وقوعها، فأما أدلة مشروعيتها فتسعة عشر بالاستقراء وأما أدلة وقوعها فلا يحصرها عدد، وهي اشارة واضحة لبيان ما نحن بصدده، راجع «شرح تنقيح الفصول». طبعة سنة ١٣٩٣هـ. القاهرة: ص: ٤٤٥.

وقد يلاحظ كثرة الاهتمام الذي أبديناه في مجال ضبط مدلول الثقافة والثقافة الاسلامية وذلك انما يرجع الى:

أولاً: إن تحديد الفكر وضبط المفاهيم هما شرطان أساسيان لتحقيق النهضة في أية أمة تملك فكرا أساسيا عن الوجود كله ـ كالأمة الاسلامية ـ شرط أن يكون التحديد واضحا، والتعريف جامعا مانعا، فعدم التحديد والوضوح في التعريف والأفكار يجعل الانسان معقدا مشوشا حيالها، والفكرة الأساسية ـ كما يقول الأستاذ سميح عاطف ـ عندما تكون واضحة محددة يكون باستطاعة الناس تمييزها عن سواها، واذا اقتنعوا بها اقتناعا جازما تكيف سلوكهم بحسبها ودعوا لها، وتصدوا لكل من يخالفها[1]

ثانياً: إننا كأمة تتحسس طريقها الى المستقبل نقف اليوم على مفترق الطرق في وضع تتربص بنا عواتي الغواية من كل جانب لتسلخنا نهائياً عن شريعتنا التي تمثل قيمنا وثقافتنا الاسلامية، ومن المؤسف أنها قد استطاعت أن تحتل مواقع خطيرة في حياتنا وخصوصا في فكر بعض المتعلمين في الأمة، وسلوك شبابها، وأخذت تمارس ضغوط التحدي لتحقيق هدفها الرهيب من خلال مناهج التعليم وبرامج الاعلام.

(وإن وعي امتنا لهذه الحقيقة، وادراكها لطبيعة المعركة، يحتم عليها ان تكون اكثر اصرارا على سلوك سبيل الاسلام وحده في

---

١ الثقافة والثقافة الاسلامية ص: ٧.

التربية والتشريع والحكم، واقوى اعتصاماً بحبل الله، وأوفى اتباعا لهداه في بناء الفرد وانشاء المجتمع)[1].

يقول الحق سبحانه: ﴿. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾[2]

---

١ الأستاذ عمر عوده. لمحات في الثقافة الاسلامية ص: ١٧

٢ سورة المائدة؛ الآيتان ١٥ ـ ١٦

المراجـــــع

أولا: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب اللغة.

١ ـ القاموس المحيط. الزاوي.

٢ ـ مختار الصحاح. الرازي.

٣ ـ لسان العرب. ابن منظور.

ثالثاً: المراجع العامة.

١ ـ أضواء على الثقافة الاسلامية. نادية شريف العمري.

٢ ـ انسانية الثقافة الاسلامية. عدنان زرزور.

٣ ـ الابهاج بشرح المهاج. ابن السبكي.

٤ ـ الاتجاه السوسيوانثربولوجي في دراسة المجتمع. محمد عبده محجوب. وكالة المطبوعات. الكويت.

٥ ـ الأوضاع العالمية الحالية من وجهة نظر الثقافة رالف لنتون (مترجم).

٦ ـ التبصرة في أصول الفقه الشيرازي. دار الفكر دمشق ١٩٨٠م.

٧ ـ التعريفات. الامام الجرجاني. الدار التونسية للنشر تونس.

٨ ـ الثقافة الاسلامية: حاضرها. أمين مدني. تهامة. جدة.

٩ ـ الثقافة والتغيير الاجتماعي. ابراهيم أبو عشه.

١٠ ـ الثقافة والثقافة الاسلامية. سميح عاطف الزين. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

١١ ـ الشبهات والأخطاء الشائعة. أنور الجندي. دار الاعتصام. القاهرة.
١٢ ـ المعجم الفلسفي. جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
١٣ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة. فؤاد كامل. دار القلم. بيروت.
١٤ ـ العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي.
١٥ ـ القياس في الشرع الاسلامي. ابن تيمية ط ٤ دار الآفاق. بيروت ١٩٨٠م.
١٦ ـ تحولات في الفكر والسياسة في الشرق العربي. محمد جابر الأنصاري. الكويت ١٩٧٠م.
١٧ ـ تطور الفكر التربوي. فخري رشيد. دار الرشيد. الرياض.
١٨ ـ لمحات في الثقافة الاسلامية. عمر عودة الخطيب. ط ٧ مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨١م.
١٩ ـ مشكلة الثقافة. مالك بن نبي.
٢٠ ـ معالم الثقافة الاسلامية. عبدالكريم زيدان.
٢١ ـ معجم مفردات الراغب الأصفهاني. عبدالسلام هارون. دار الفكر القاهرة.
٢٢ ـ علم الاجتماع ومدارسه. مصطفى الخشاب. الانجلو المصرية. القاهرة.